ولاة مصر في عهد العرب

قبل ان دالت دولة بني امية كثر الناقمون عليهم الداعون لغيرهم من امراء العراق لاسباب لا محل لبسطها هنا وانضم كثيرون من اهل مصر الى هؤلاء الناقمين . نقل الكندي في حوادث سنة ١٢٧ التي ولي فيها مروان الجعدي الخلافة ان مروان ولّى على مصر حسّان ابن عتاهية فابى اهل مصر ان يخضعوا له وكان قد جاءهم نفر من اليمانية فخطبوا في مسجد مصر ودعوا الناس الى خلع مروان فلم يخالفهم احد . فكتب مروان الى اهل مصر اما اذا اتيتم ولاية حسان فقد امرتُ عليكم حنظلة بن صفوان فامتنع المصريون واظهروا الخلع . فمكث مروان عنهم بقية سنة سبع وعشرين ومئة ثم عزل حفصاً مستهل سنة ثمان وعشرين ومئة وارسل اليهم حوثرة بن سهيل الباهلي بجيش كبير فخاف اهل مصر وبعثوا اليه يزيد بن مسروق الحضرمي فتلقاه بالعريش وسأله ان يؤمنهم على ما احدثوا فاجابه الى ما سأل وكتب لهم كتاباً بعهد وامان فاتاهم به يزيد فاطمأنوا الى ذلك . ثم بعث اليهم حوثرة يستأذنهم في المسير اليهم والدخول الى مصر فاذنوا له فسار اليها ولم يكد يستقر به المقام حتى بعث الخيل في طلب رؤساء الفتنة ووجوههم وضرب اعناقهم وفي ذلك يقول مرصل بن سمير

يا عين لا تبقي على العبرات جودي على الاحياء والاموات
قُتلوا ولم اسمع بمثل مصابهم مروات اقوام بنو مروات
طُلّت دماؤهم فلم يعرج لهم بَيْن ولم يطلب لهم بحناق

وسكنت الامور في مصر ولكن كثر الخارجون على مروان في سائر مملكته فحاربهم فانتصروا عليه واضطر ان يهرب من وجههم الى مصر . وكانت شيعة العباسيين قد قويت في مصر ويعبّر عن التشيّع لهم بكلمة سوّد فقد قال الكندي ان مروان قدم مصر يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوّال سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وسوّد اهل الجوف الشرقي والحق الاسود بن نافع بالاسكندرية فسوّد بها وسوّد الاعلى بن سعيد الجيشاني بصعيد مصر وسوّد يحيي بن مسلم باصوان اي انحاز اهالي الشرقية والاسكندرية والصعيد واصوان الى بني العباس . وعبر مروان الى الجيزة وحرق الجسرين لكي لا يُتبع وسار الى بوصير من كورة الاشمونين فقُتل بها يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة سنة ١٣٢ وبه انتهت دولة بني امية من البلاد الشرقية وخلفهم بنو العباس

ثم تداول الولاة على مصر من قبل بني العباس واول شيء فعلوه انهم نكّلوا بحزب بني امية .

وانتقض عليهم القبط غير مرة فاوقعوا بهم . وفي ما اثبتهُ الكندي عن ولاة بني العباس مما هو خليق بالذكر ان ابا صالح يحيى بن داوود الحرمي الشهير بابن محمود الذي وليها من قبل المهدي سنة ١٦٢ كان ابوهُ تركيًّا وامهُ خالة ملك طبرستان . وكان من اشد الناس سلطانًا واعظمهم بعيبة واقدمهم على دم وانهكهم عقوبةً ولما ولي مصر منع من غلق الابواب بالليل ومنع اهل الحوانيت من غلقها حتى حطوا عليها شرائح القصب تمنع الكلاب منها . ومنع حراس الحمامات ان يجلسوا فيها وقال من ضاع لهُ شيءٌ نعليَّ اداؤهُ . فكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابهُ ويقول يا ابا صالح احفظها فكانت الامور على هذا مدة ولايتهِ . وهو الذي اخذ اهل مصر بلبس القلانس الطوال في الدخول فيها على السلطان يوم الاثنين والخميس اخذ بذلك الفقهاء والاشراف واهل البيوتات . وكان ابو جعفر المنصور اذا ذكر الحرمي قال هو رجل يخافني ولا يخاف الله

ومما ذكرهُ الكندي ان ابرهيم بن صالح الذي ولي مصر في المحرم سنة ١٦٥ وصُرف عنها في ذي الحجة سنة ١٦٧ خرج منها ومعهُ اكثر من ثلاث مئة الف دينار استخرجها منهُ موسى بن مصعب الخثعمي الذي خلفهُ . ثم تشدَّد موسى بن مصعب هذا في استخراج الخراج وزاد على كل فدان ضعف ما يقبل بهِ وعاد الى الرشوة في الاحكام وجعل خراجًا على اهل الاسواق وعلى الدواب فاظهر الجند لهُ الكراهة والشنآن . وبعث عمَّالاً الى الحوف فاخرجهم اهل الحوف ونابذوهُ وعقدت قيس واليمانية حلفًا في ما بينهم وولوا عليهم معاوية بن مالك الجذامي وكلَّموا اهل الفسطاط من الجند وخوفوهم الله وذكروا لهم ما اتى موسى اليهم فاعطاهم الجند من اهل مصر العهود والمواثيق انهم ينهزمون عنهُ اذا خرج اليهم فلا يقاتلون معهُ ويحالفوهم واهل الفسطاط على ذلك . وعقد موسى بن مصعب لعبد الرحمن بن موسى التجيبي في خمسة آلاف من اهل الديوان وبعث بهم الى الصعيد . ومضى هو في جند مصر كلهِ ونبذ وجوه الناس فساروا حتى نزلوا العُريش واقبل اليهم اهل الحوف يمنعها وقيسها فلما اصطفوا وثبت بينهم الحرب انهزم اهل مصر باجمعهم واسلموا موسى بن مصعب فقتل . وعاد اهل مصر الى الفسطاط لم يُكلَّم منهم احد وكان ذلك يوم الاثنين لتسع خلون من شوَّال سنة ١٦٨ قال سعيد بن عفير يذكر هذه الواقعة واهل الحوف

الم توهم الوت بموسى سيوفهم ... وكانت سيوف لا تدين لمترف
فاصبح من مصر وما كان قد حوى ... بمصر من الدنيا سليبًا بنفنف
ولكن اهل الحوف لله فيهم ... ذخائر ان لا ينفد الدهر تعرف

وكانت سطوة الخلفاء العباسيين على الولاة ضعيفة في الغالب فيأخذونهم بالحيلة . فلما اراد ابو جعفر المنصور عزل صالح بن علي عن مصر ضمّ اليهِ فلسطين وامرهُ بالشخوص اليها وان لا يستخلف على مصر فلما استقرّ بها عزلهُ عن مصر وضمّ اليهِ الاردن وامرهُ ان يصير اليها فلما استقرّ بها عزلهُ عن فلسطين وضمّ اليهِ دمشق فلم يزل ينقلهُ حتى صار الى الجزيرة

واراد مرة ان يجعل الوالي محمد بن الاشعث الخزاعي يضمن لهُ خراج مصر فاستشار محمد كاتبهُ فاشار عليهِ ان لا يفعل فلم يفعل

وفي ولاية يزيد بن حاتم سنة ١٤٤ خرج العلوية بالفسطاط وبايع كثير من لعلي بن محمد وهو اول علوي قدم مصر لكن دارت الدائرة على اتباعهِ واخفق هوشم مرض ومات وخرج القبط على يزيد بن حاتم لسخا سنة ١٥٠ واستعرت نار الحرب بينهم وبين جند الوالي ويقال ان توبة الخولاني وهو من اعوان الوالي «القى النار في عسكر القبط وانصرف الجيش الى الفسطاط منهزمين» اي دارت الدائرة على جند الوالي . ولقد ذكر المقريزي هذه الثورة ولم يذكر سببها لا هو ولا غيرهُ من المؤرخين الذين اطلعنا على تواريخهم ولكن يُعلَم مما ذكرهُ ابن اياس ان في ولاية يزيد هذا وقع الغلاء بمصر وشرقت الاراضي من خسة النيل وحصل للناس الضرر الشامل ووقع الغلاء حتى ماتت المدينة باهلها . فلا يبعد ان يكون الجوع سبب الثورة ولا يثور الناس عادة الاَّ من جوع او من جَوْر

وفي ولاية عبد الله بن عبد الرحمن التجيبي الذي خلف يزيد بن حاتم جعل التابوت اي لاموال الايتام ناظراً يقوم عليهِ . وفي ولاية موسى بن عُلَي اللخمي خرج القبط ثانية يطلبون ولكن دارت الدائرة عليهم . ويظهر من جدول مقاس النيل ان الفيضان بلغ تلك السنة ١٥ ذراعاً و٢٢ اصبعاً وكان اقل من ذلك في السنتين اللتين قبلها فلا يبعد ان يكون الجوع سبب خروجهم ايضاً . ويظهر مما رواهُ الكندي عن موسى بن عُلَي هذا انهُ كان عادلاً حليماً فانهُ كان يروح الى المسجد ماشياً وابو الصهباء صاحب شرطهِ بين يديهِ يحمل حربتهُ وكان ابو الصهباء اذا اقام الحدود على من تجب عليهِ يطّلع عليهِ موسى بن علي فيقول لهُ يا ابا الصهباء ارحم اهل البلاد فيقول ايها الامير انهُ لا يصلح الناس الاَّ بما يُفعل بهم

وذكر الكندي من اعمال علي بن سليمان العباسي الذي ولي مصر سنة ١٦٩ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنع الملاهي والخمور وهدم الكنائس المحدثة بمصر فهدم كنيسة مريم الملاصقة لابي شنوده وهدم كنائس بحرس قسطنطين وبُذل لهُ خمسون الف دينار في تركها فامتنع وكان كثير الصدقة في الليل . فجعل الكندي هدم الكنائس من قبيل

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنع الملاهي والخمور ولكن جاء موسى بن عيسى العباسي بعد علي بن سليمان هذا فاذن للنصارى في بنيان الكنائس التي هدمها علي فبنيت كلها بمشورة الليث ابن سعد وعبد الله بن لهيعة وقالا هو من عمارة البلاد واحتجّ ان عامة الكنائس التي بمصر لم تبنَ الاّ في الاسلام في زمن الصحابة والتابعين

وحدث في ولاية محمد بن زهير الازدي سنة ١٧٤ ان الجند الذين يقال لهم القديدية ثاروا بصاحب الخراج في اعطياتهم وصلبوهُ ودخّنوا عليهِ حتى دفع لهم اعطياتهم فأخرجوا من مصر في السنة التالية وارسوا الى المغرب والمشرق وأرسل منهم فريق في البحر الى الشام فظفرت بهم الروم واسرتهم

القانون الدولي والتحكيم (١)

الاصل في عرف السياسة ان كل دولة مستقلة عن غيرها تمام الاستقلال لا يطلب منها شيء لدولة اخرى ولا تطيع سلطة غيرها في امر او نهي . ولكن ليس من دولة تستغني عن غيرها تمام الاستغناء لشدة ارتباط البلدان بعضها ببعض في الامور التجارية والمعاشية والادبية والعلمية والاجتماعية والدينية فكل عمل تقوم بهِ دولة من الدول يؤثر في غيرها . ولذلك كان لا بدَّ من قانون عام ترجع اليهِ الدول ويكون لها بمثابة القوانين التي تسنها كل دولة لرعاياها . ومعلوم انهُ لم يوضع قانون عام تلتزم الدول ان تسير بموجبهِ ولكن المعاهدات والعادات وحرص كل دولة على ان لا تُعرَف بغير العدل والانصاف قد اوجدت قانوناً او ما يشبه القانون يطلق عليهِ اسم القانون الدولي او حقوق الدول

علاقات الدول بعضها ببعض — سارت علاقات الدول الاوربية في ثلاثة ادوار يمتد الدور الاول منها من بدء المدنية الاوربية الى قيام الامبراطورية الرومانية والثاني من قيام الامبراطورية الرومانية الى معاهدة وستفاليا سنة ١٦٤٨ والثالث من معاهدة وستفاليا الى العصر الحاضر

ففي الدور الاول لم تكن الدول والجماعات المستقلة تعترف بحق بعضها لبعض ولا بحدود لا يجوز تجاوزها في زمن الحرب او زمن السلم . الاّ ان بعض الجماعات التي هي من اصل واحد او القريبة بعضها من بعض في اللغة والعادات والدين كانت تراعي بعض الاصول

(١) أكثر الاعتماد في كتابة هذه المقالة على الفصل السادس من كتاب مبادئ علم السياسة للاستاذ ليكوك